

دُسن الاختيار



« ما بين الدنيا والجنَّة:»

إنَّ اﷲ سبحانه وتعالى يريد للنَّاس دائماً أن يرتبطوا بالآخرة ويفكِّروا فيها وبها، وذلك هو السبيل الأقوم للتوازن الذي يجب أن يعيشه الإنسان بين الدنيا والآخرة. ولكن في مشكلاتنا التي نعيشها في التزاماتنا الدينية فيما يريدنا اﷲ أن نلتزمه، أنَّنَّا نرتبط بالدنيا ارتباطاً نشعر فيه أنَّنَّا مقيِّدون بها بحيث لا نستطيع الفكك عنها، ونعتبر السعادة كلَّ السعادة فيما نحصل على ما فيها من مُتَع ومُلذَّات ومواقع ودرجات. ولذلك، فإنَّنَّا قد نغفل عن كثيرٍ من واجباتنا الدينية عندما تقف هذه الواجبات أمام ملذَّاتنا وشهواتنا، وهذا ما نلاحظه عند بعضنا الذي قد يترك الصلاة أو يؤخِّرها عن وقتها، لأنَّ هناك عملاً طارئاً شغله، أو "طروفاً" يخجل فيها أن يصلي، كما لو كان في مكان عام، أو بين جمعٍ من الناس قد لا يكونون مسلمين، فيخشى من نظراتهم أن تتوجَّه إليه بالسخرية أو الاستغراب، وهكذا نجد أنَّ الكثيرين منا أيضاً قد تشغلهم "أوضاعهم" عن ترك ما حرَّم اﷲ، حيث يرتكبون المعاصي والذنوب، انطلاقاً من بيئتهم وأوضاعهم الاجتماعية وغير الاجتماعية. وهذا الاستغراق في الدنيا هو الذي يجعلنا نشعر بعدم أهميَّة الحصول على رضی اﷲ وعلى جنته تعالى.

أمام هذا، لا بد لنا أن نطلق التفكير لعقولنا، فلو خُيِّرنا أن نحصل في الدنيا على شقةٍ مثلاً بشرط أن نقوم بعمل لا يُرضي الله، ونترك عُرفات الجنة، فماذا نختار؟ إننا إذا كنا نشعر أن موقع الله تعالى لا يمثّل في نفوسنا الموقع الكبير والعظيم الذي يُفترض أن نخشاه ونخافه ونحسب حسابه، فإننا نغضب الله لنحصل على ما نريد.. أما إذا كنا نخشى الله على قاعدة (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ الْفَاسِقَةَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) (النازعات/ 40-41)، فإننا لا نبيع ما يبقى بما يفنى، لأن النفس عندما تشعر بعظمة موقع الله، فإنها لا تتوجّه إلى ما حرّم الله، فتخشاه ولا تخشى الناس (وَاللَّهُ أَجَدُّ حَقًّا أَنْ تَخْشَاهُ) (الأحزاب/ 37)، وهذا ما نحتاج فيه إلى أن نربّي عظمة الله في أنفسنا، لنرتبط بالجنة بما تمثّل من قيمة ونتيجة لأعمالنا في الدنيا.

ومن هنا، فإنّ الله تبارك وتعالى يحدّثنا دائماً في القرآن الكريم عن الجنة والنار، حتى تتركّز في عقولنا وقلوبنا هذه الحالة النفسية التي يفتح فيها الإنسان على الآخرة في نعيمها وجحيمها، كما يفتح على الدنيا، حتى يسير في خطّ التوازن (رَبِّدْنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (البقرة/ 201).

وهذا ما يدعونا لأن نعيش الآيات القرآنية التي تذكّرنا بالجنة والنار، لندخل في حوارٍ مع أنفسنا، هل نتحمّل عذاب النار؟ ولأننا لا نتحمّل هذا العذاب، علينا أن نلجّم أنفسنا عن الاندفاع فيما يورّسها في هذا العذاب.. وإذا كنا نحبّ الجنة فلندفع بأنفسنا صوب ما يمنحنا دخول الجنة.

مصير المتقين ومصير الكافرين:

يقول الله تبارك وتعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْدَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْدَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) (الرعد/ 35)، تتميز الجنة الآخرة عن جنة الدنيا بنعيمها الدائم وظلالها الدائمة، فثمرها لا ينقطع، وأكلها دائم، فهناك حالة اكتفاء دائمة في الغذاء والانتعاش والراحة، ولذا فإنّ في الجنة (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) (فصلت/ 31-32)، وقد وعدّ المتّقون الذين يخافون

□ بكلِّ هذه النَّعَمِ فِي الآخِرَةِ، فَهَم يُقَدِّمُونَ عَلَى □ تَعَالَى، وَكُتِبَ أَعْمَالُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ (وَآلَمَّا
 مَنَ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِرِيَمِينَهِ فَيَقُولُ هَذَاؤُمُّ أَقْرَأُوا كِتَابِي بِهِ * إِنَّ رَبِّي طَائِفٌ
 أَنَّرِي مُلَاقٍ حِسَابِي بِهِ * فَهَوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا
 دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (الْحَاقَّةُ / 19-24)،
 وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَتَمَرَّدُوا وَعَصُوا، فَمَاذَا سَيُلَاقُونَ عِنْدَمَا يَقْدِمُونَ عَلَى □
 تَعَالَى (وَعُقُوبَةِ الْكَافِرِينَ النَّارُ) وَهَنَّاكَ سَيَقْفُونَ مَوْقِفَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَالذُّلِّ (وَآلَمَّا
 مَنَ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِرِشْمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي بِهِ * وَلَمْ
 أَدْرِ مَا حِسَابِي بِهِ * يَا لَيْتَنِي تَهَاكَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي بِهِ *
 هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِي بِهِ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ * ثُمَّ فِي
 سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّ رَبَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ * فَلَا يَسْأَلُهُ الْيَوْمَ هَذَا
 حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ) (الْحَاقَّةُ / 25-37).

مجتمعان:

وَكَمَا فِي الآخِرَةِ يَخْتَلِفُ مَجْتَمَعُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ مَجْتَمَعِ الْكَافِرِينَ، فَهُوَ مُخْتَلِفٌ فِي الدُّنْيَا (وَالَّذِينَ
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) (الرَّعْدُ / 36)، فَآمَنُوا بِالرِّسَالَاتِ مِنْ
 قَبْلِكَ، وَفَرَحُوا بِرِسَالَتِكَ لِأَنَّهَا تَوَافَقَ مَا عَرَفُوهُ مِنَ الرِّسَالَاتِ السَّابِقَةِ وَمَا أُنزِلَ عَلَى رُسُلِهِ مِمَّنْ جَاءَ
 قَبْلِكَ (وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنَ يُذَكِّرُ بَعِضُهُمْ قَوْلَ إِنْزَامًا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ
 وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَّا لِيَهْدِيَ أَدْعُوهُ وَإِلَيْهِ مَأْبٍ) (الرَّعْدُ / 36)، وَتَوَاجَهَ - يَا مُحَمَّدُ - مَنْ
 يَخْتَلِفُونَ مَعَكَ، مِمَّنْ يُؤْمِنُونَ بِمَا هُوَ خَارِجٌ نِطَاقِ الْحَقِيقَةِ. فَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ - وَالْخَطَابَ مُوجَّهًا أَيْضًا
 لِكُلِّ دَاعِيَةٍ فِي سَبِيلِ □ - تُنكَرُ عَلَيْكَ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، وَتَرْفُضُ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، فَلَا تَتَرَجَّعُ
 وَلَا تَسْقُطُ، عِنْدَمَا تَكُونُ مَقْتَنَعًا بِالْحَقِّ، وَمُنْفَتِحًا عَلَى الْإِيمَانِ بِصَدَقِ كُنِّ الْقَوِيِّ الَّذِي يَعلَنُ إِيمَانَهُ مِنْ
 دُونَ خَوْفٍ وَلَا يَضَعُ أَمَامَ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِينَ وَسُخْرِيَةِ السَّخِرِينَ (قَوْلَ إِنْزَامًا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ
 اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ) إِنْ تُنْكَرُوا أَوْ لَا، وَإِنْ تَقْبَلُوا أَوْ لَا، ذَلِكَ شَأْنُكُمْ لِأَنِّي أَقمتُ عَلَيْكُمْ
 الْحِجَّةَ. وَرَفَضْتُكُمْ لِمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ لَا يُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ مَوْقِفِي، لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ عِنْدِي وَاضِحَةٌ، فَإِنِّي
 أَوْجِدُ □ وَاعْبُدُهُ (إِلَيْهِ أَدْعُو) وَلَيْسَ الْأَمْرُ مَتَوَقِّفًا عَلَى إِيمَانِي وَحْدِي، بَلْ إِنِّي أَدْعُو النَّاسَ مَعِي
 لِيُؤْمِنُوا بِهِ سُبْحَانَهُ، وَيَطِيعُوهُ وَيَسْتَقِيمُوا عَلَى دَرَبِهِ. فَأَدْعُو إِلَى □ تَعَالَى لِيَرْتَبِطَ النَّاسُ بِالْأَهْدَافِ الَّتِي

ماذا نفهم من هذا الخطاب القرآني ونحن أمام جملة من التحديات؟ إننا ولا شك نشعر بالإعتزاز والenfوان والقوة بهذا الجيل الإسلامي الذي يقف بثبات أمام قوى الكفر والشر والاستكبار في كل العالم الإسلامي، هذا الجيل عندما يُخيّرُ بين الله والناس، فإنه يختارُ موقفَ الله. ومن هنا، فإن علينا أن نوحى لأنفسنا بالقوة دائماً، وندخل في مقارنة بين الله وبين الناس، وبالتالي بين دنيا دنيّة تؤدي بنا إلى النار، وبين الآخرة التي تؤدي بنا إلى الجنة، حتى نثبت أقدامنا ومواقفنا ونحصن مشاعرنا وعواطفنا من الانزلاق فيما لا يرضي الله تعالى، وبذلك لا يستطيع الشيطان أن يغشّنا، ولا يقدر الذين يخوننا أن يخذعونا عن ديننا وإيماننا وربنا. إن مقارنة ما بين الجنة والنار لا توقعنا في الغفلة ولا تنسينا ذكر الله، وبذلك تستقيم أعمالنا وأقوالنا وخطوطنا وأهدافنا في كل

مجالات الحياة. ►